الامانة العامة
منظمة المؤتمر الاسلامي
صندوق التضامن الاسلامي
جدة

الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد

البعد الاجتماعي

وثائق وابحاث مقدمة للندوة المنعقدة في جنيف
من 7 الى 10 جانفي 1980

تحت اشراف : منظمة المؤتمر الاسلامي
(صندوق التضامن الاسلامي) بمشاركة
وتنظيم من منظمة العمل الدولية (المعهد
الدولي للابحاث الاجتماعية)

دار سراس للنشر
تونس

المحتويـــــات

عنوان المقال	المؤلف	صفحة
تمهيد		1
خطاب الافتتاح	د. ظفر الاسلام	3
تقديم الملتقى	مصطفى الفيلالي	9
الدين والعلم والتربية	د. محمد السويسي	17
الدين والعلم والتربية	د. موريس بوكاي	27
التحديث والتغريب	د. غوث الانصاري	35
من الاصلاح الى الثورة الاسلامية	د. هشام جعيط	51
السلطة والحرية والحقوق الفردية في الاسلام	د. عزة شام	59
المرأة في المجتمع الاسلامي	السيدة ياسين	67
الاسلام والعمل	د. اسماعيل الفاروقي	87
دور الدولة والاقتصاد في الاسلام	د. محمد احمد صقر	113
وجهة نظر اسلامية في التنمية	.د سيد نواب حيدر نقي	125
استراتيجية التنمية في وجهة نظر اسلامية	د. احمد خرشيد	135
اقتصاديات العمل والاجر في الاسلام	د. رفعت العوضي	153
دور الاسلام في حل مشكلات المجتمع المعاصر	د. ماجد كيلاني	169
مقترحات بشأن مشروع التعاون	مصطفى الفيلالي	179
عرض المناقشات		183
جدول المشاركين		203

تمـــهيد

قام المعهد الدولي للبحوث الاجتماعية باعانة الصندوق القار للتضامن الاسلامي لدى منظمة المؤتمر الاسلامي بتنظيم ملتقى شعاره الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد (البعد الاجتماعي). تمت اعمال هذا الملتقى بجنيف من 7 الى 10 جانفي 1980 وقد ضم قرابة الستين مشاركا جلهم شخصيات قادمة من اهم مناطق العالم الاسلامي. كما شارك الى جانب ذلك في هذا الملتقى البعض من اشهر الاختصاصيين في دراسة الاسلام.

لاحظ السيد (البير توفود جري) مدير المعهد في كلمة الافتتاح انها اول مرة يوافق كل من مجلس المعهد ومجلس الادارة لمنظمة العمل الدولية على مشروع يرمي الى النظر في دور العوامل الثقافية في التنمية وآثارها فيها. مشيرا الى تصور ما قام من جدال حول اعادة بناء النظام الاقتصادي الدولي وهذا لكونها تتركز اولا وآخرا على الفلسفة الغربية للتنمية.

وقد ان الاوان حسب السيد توفود جري لاعتبار خطط اخرى في بناء هذا النظام ولمنح اكثر اهمية للعوامل الاجتماعية والثقافية والدينية عند القيام باختيار السياسات التنموية، ورجا ان يشكل هذا الملتقى محاولة اولى لتدبر هذا الوضع، لافتا الانظار الى الاثر البالغ الذي تحدثه على الصعيد الدولي ديانة كبرى دولية كالدين الاسلامي على تطوير السياسة الاجتماعية والاقتصادية. وقد اقيم الملتقى لزيادة التعريف بالتفكير الاسلامي كي يلعب دورا أ هم في وضع سياسات اجتماعية ترمي الى نظام اقتصادي دولي جديد يكون اكثر ازدهار واوفر عدلا.

قام المشاركون في الملتقى بالنظر في ثلاثة محاور :

- الثقافة الاسلامية : اصولها ومستقبلها
- الدولة والمجتمع : نحو مجتمع الاصالة
- الاقتصاد والتنمية : المجتمع الاسلامي امام النظام الاقتصادي الدولي الجديد.

يحتوي هذا الكتاب على وثائق العمل المعروضة اثناء بحث كل واحد من هذه المحاور مشفوعة بعرض وجيز للمداولات.

ان الاراء المعبر عنها في هذه الوثائق لا تلزم الا كاتبيها والمشاركين في الملتقى، وهي لا تمثل حتما آراء المنظمات المقيمة للندوة.

واملنا ان يشكل هذا الملتقى نقطة الانطلاق لمشروع اعم حول الاسلام والسياسة الاجتماعية وهو الموضوع الذي تم التحاور فيه وضبط برنامجه خلال هذا التجمع.

خطاب الافتتاح

السيد ظفر الاسلام
امين عام مساعد لمنظمة المؤتمر الاسلامي

سيدي مدير المعهد الدولي للبحوث الاجتماعية
سيدي المدير المساعد للمجلس القار لصندوق التضامن الاسلامي
اصحاب المعالي
سيداتي آنساتي سادتي

يشرفني ويسرني في آن واحد ان اشارك بالنيابة عن السيد الحبيب الشطي الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي، في الافتتاح الرسمي لهذا الملتقى الفريد من نوعه في تاريخ المنظمة الدولية للعمل والمخصص للنظر في مسالة جد مهمة ومعاصرة وهي قضية «الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد : البعد الاجتماعي». لهذا اريد ان افرد كلماتي الاولى للتعبير عن عميق الشكر باسم الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي الى السيد (البير توفود جري) مدير المعهد الدولي للبحوث الاجتماعية للبادرة الطيبة التي حملته على ادراج هذا المحور ضمن نشاطات المعهد.

وهذه البادرة هي تماما مطابقة سيدي المدير الى عملكم الخاص. ان اشعاع اعمالكم وبحوثكم والسلوك النضالي الذي اتخذتموه تجاه حلول اقتصادية تكون في آن واحد حلولا اجتماعية وفية لمقتضيات الذاتية الثقافية. وذلك قبل ان تظهر فكرة النظام الجديد داخل التجمعات الدولية ـــ كل هذا العمل الشخصي يؤكد لنا ـــ نحن القادمين من بعيد ـــ ان دورة جنيف ستتمتع بالقدر الكبير من الضبط في التفكير، وبكل مظاهر التفاهم الانساني اللازمين مع احترام اراء الغير وسيحدوها اليقين المشترك بان الاقتصاد هو اولا ظاهرة ثقافية تندمج داخل مجموعة اوسع. ومن العدل ان ننوه بالحذق والمقدرة المبذولين من جانب السيد المدير ومساعديه الكرام في تحضير هذا الملتقى.

ولا انسى ايضا ان انوه بالمشاركة الثمينة التي قدمها المجلس الدائم لصندوق التضامن الاسلامي لاقامة هذه الندوة وترسيمها ضمن جدول نشاطاته الثقافية. واني لسعيد بتقديم احر تحياتي لهذا المجمع الكريم المكون من المع الشخصيات واشهرها.

اصحاب المعالي
سيداتي آنساتي سادتي

اتقدم من هذه المنصة الى مجمعكم الكريم ببالغ التاثر لا لمجرد أن المسالة التي سيدور الحوار حولها تتصل بمشكلة من المشاكل الاساسية التي تعني منظمة المؤتمر الاسلامي بالنظر فيها بل وخاصة لان الارادة التي لمسناها تبرهن من الان عن انتهاء سؤ التفاهم بل وبالاحرى التعصب الذي لم يزل يبديه الغرب مدة طويلة تجاه الفكر الاسلامي بصفة عامة. اود ان اعتبر تنظيم مثل هذا الملتقى وما سيترتب عنه من نشاطات قادمة للمعهد في نفس الاتجاه كبرهان على التفتح في وجه اعلى طبقات الفكر واكبر المجالات الثقافية والروحية في العالم. وبالمضي في هذا الاتجاه سيكتسي المعهد لا محالة بعدا جديدا يجعل اعماله اكثر عمقا واشعاعا.

سيفضي هذا الاتجاه بعد مواصلته وتطويره الى نظرة اجتماعية اقتصادية كلية وتنتهي بالتالي الى اقامة النظام العالمي الجديد المتعدد الابعاد والذي لا يزال مطمحا لمعظم الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة. ولا اريد هنا ان اسبق مداولاتكم ولا ان اتعرض بتفصيل الى النقاط المسجلة في جدول الاعمال للملتقى فان اختيارها الحصيف يجعل اصحابها جديرين بالتقدير والاحترام. لكن اسمحوا لي ان ادلي ببعض الملاحظات راجيا ان تكون مشاركة متواضعة في الحوار الذي سيقام. وسانطلق في اول الامر ـــ من ملاحظة واقعية اولى وهي ان جل البلاد الاسلامية هي في عداد العالم الشاسع الشامل للبلدان السائرة في طريق النمو او النامية وانه ليحق التنديد بالفكرة الواسعة الانتشار التي تحمّل الاسلام وثقافته المرموقة بالامس وتراثه الزاخر مسؤولية ما تقاسي منه المجموعة الاسلامية في الوقت الحاضر من النقائص العديدة وفي اغفال الاثار والمحن والصدمات في التاريخ الحديث التي لحقت بشعوبنا كما ان فيه تجاهلا للمظالم التي كابدوها ولا يزالون ـــ للاسف ـــ يعانون منها. لا محالة ان الظروف التي تمر بها العلاقات الدولية تعين على تركيز بعض الاحكام المسبقة. لكن هل يتبرر هذا الموقف السلبي ازاء الاسلام والدول الاسلامية وازاء بعض دول العالم الثالث عند انقضاء الازمة؟ لا اعتقد ذلك. من المؤكد ان هذا الموقف ناتج سواء عن عدم معرفة للحقائق الاسلامية ولاصول ثقافة العالم الاسلامي او عن تاويل مجحف للتحولات التي تحدث في كامل ارجاء عالمنا، وهو ناتج ايضا عن الكثير من سوء التفاهم السائد في العلاقات الدولية. ومن كل هذه الحالات سيكون للتاريخ ان يشهد يوما ما بان العديد من الامم كانت هي انفسها ضحايا لمؤامرات حيكت في الخفاء ولا ادل على ذلك من الحملات الصحافية المعادية المنظمة من حين الى حين من طرف بعض القوى الماكرة ضد هذا او ذاك من البلاد الاسلامية مغذية بذلك موجات التوتر عوض ان تسعى الى تغليب سلطان العقل والحكمة.

ساحاول من خلال ملاحظتي الثانية ان ابحث هذا الموقف السلبي ازاء الاسلام، وهو ناجم عن النظرة المتعصبة الضيقة المحدودة للافاق الدولية الجديدة. وحقيق بنا التذكير بان هذه النظرة الرامية الى فرض نمطها في العيش وفي التفكير على الشعوب الاخرى للعالم قد ظهرت في اروبا منذ حوالي قرنين فتوصل اصحابها بعد حوادث دامية عديدة الى اقامة قطيعة بين امور الدين وامور الدنيا وقد تولدت هذه القطيعة عن الازمات التي حصلت عندما تصدت الكنيسة للاكتشفات والتطور العلمي من ناحية والى التفكير السياسي التحريري من ناحية اخرى. لابد من التسليم بان الاتهامات الموجهة انذاك ضد الكنيسة في شان العلاقة بين العلم والدين ودور رجال الدين وسلط الكنيسة فيما يخص المشابكات القائمة بين المذاهب الدينية كانت لها في بعض الاحيان الكثير من المبررات. فلقد تم في بعض البلدان القضاء تماما على الدين وحصل الفصل بين الدولة وبين فلسفة الحكم في بلدان عديدة اخرى. اما الاسلام، سيداتي اوانسي سادتي، فهو لم يتعرض لمثل هذه المعاملات اذ هو في آن واحد نظام حكم ونمط عيش. يرتكز على وحدة للعالم لا تعلوها الّا احدية الخالق التي يتعلق بها المسلمون شديد التعلق وقد كان الاسلام دائما حريصا على مفهوم الوحدة : وحدة الله ووحدة الانسان الفاعل المسؤول ووحدة المجموعة الاسلامية التي لم تزل تحدوها ارادة قوية للانسجام والتوحد.

التوحيد هو من دون شك حقيقة روحية ومبدأ مطلق تتشكل به جميع مظاهر الحياة الاجتماعية. بهذه الصورة لا تبقى الوحدة مجرد فكرة تسبح في الماورائيات بل يكون لها اثرها في الحياة اليومية وهي تشكل العلاقة الرابطة بين العالم الماورائي او المجال الروحاني من ناحية والحياة اليومية وانماط العيش بما فيها من عمل وانتاج وتجارة وما يتبعها من انظمة ومن حقوق وفنون من ناحية اخرى. كل هذا يجعل من المجموعة الاسلامية وحدة حية.

كما ان التميز العنصري بعيد كل البعد عن روح الاسلام فهو يحث دائما على المساواة بين الناس وعلى الحوار بين الشعوب فالتسامح والعدل والحرية الذاتية مبادىء ما فتىء الاسلام يدعو اليها ويناصرها ويعمل على ارسائها.

وتنص الشريعة الاسلامية ايضا على منح الحق لكل انسان في العمل كما تعترف له بالحـــق في ثمرة ما ساهم فيه من عملية التنمية . وهذه النظرية ـــ اذا صح التعبير ـــ لا تعرف السلبية اذ جاءت متممة وخاتمة لكل الرسائل السماوية التي سبقتها. ومن هنا اكتسب الاسلام طابعه الشمولي الكوني. يشير القرآن الكريم في اماكن عديدة الى هذه الكلية الشمولية اذ يطلب من الرسول في سورة الاسراء ان يعلن انه مبعوث من الله الى البشرية كافة.

تنطلق ملاحظتي الثالثة، المرتكزة على الواقع، من الوضع الناتج عن التطور الضئيل الحاصل في طريق بناء نظام عالمي جديد. وتاخذ بعين الاعتبار الشك الذي عبر عنه مفكرون عديدون في ضعف نجاعة بعض البرامج الموجهة للعالم الثالث.

وهو وضع حرج للمجموعة العالمية فيه ابتلاء للمبادىء السامية التي مافتئت تعلن عنها وللطاقات الكبيرة التي ما انفكت تبذلها وتسخرها في غير جدوى، ورغم كل هذا فلا داعي لليأس.

ولا نستبعد حلا ناجعا لهذا الوضع حتى ولو لم يكن ذلك الحل في متناول ايدينا. يقتضي تحقيق هذا الحل ان تقوم ارادة سياسية قوية تجهل التخوفات التي لا مبرر لها وتقيم مبادىء التضامن والحوار في مكان التخاصم والتنازع كما يقتضي حل المشكلات العويصة للتنمية الاجتماعية موقفا واقعيا وعمليا يعالج كل منطقة ثقافية حسب قيمها الاخلاقية والروحية الخالدة.

في المجال التاريخي استطاعت الحضارة الاسلامية ان تتفتح على كل الثقافات الاخرى، وقصد الاشعاع في جميع مجالات المعرفة استفاد العالم الاسلامي من فتوحات الفكر اليوناني والفارسي، ومع انكاره الشديد لكل انواع التمييز فان الاسلام يقبل الخصوصية المعبرة على الاصالة الثقافية.

من اجل ذلك كانت الاثنتان والاربعون دولة اسلامية اعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي تسعى الى حل مشاكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية وهي مشاكل متشابهة بينها. مع ما يكتنفها من معطيات وتحديات خاصة بكل دولة.

وقد تمكنت المنظمة، بعد عشر سنوات من انبثاقها من ان تنشىء التنظيمات الهيكلية وتقوم بالنشاط المعبر عن ارادة مشتركة ترمي الى ارساء قواعد التعاون والتضامن بين الدول الاعضاء، وتعبر في نفس الوقت على ما لشعوبها من ذاتية مشتركة.

وتهدف هذه المنظمة على النطاق الدولي الى المشاركة الفعالة في تدعيم تضامن دولي مثمر من شانه ان ينشىء نظاما عالميا جديدا منصفا وعادلا في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي.

اذا اردنا تلخيص الامور الاساسية يمكن لنا القول ان النظام الجديد لا يحصل الا

اذا اخذنا بعين الاعتبار في آن واحد كل المقومات الاتية بدون اهمال لواحدة منها وهي : الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي مع احترام الذاتية الثقافية ومنح كل الفرص الممكنة للعنصر البشري ليحقق انسانيته ويصل الى ذروة ما تمكنه استعداداته من الوصول اليه الامر الذي يتجاوز عملية اشباع حاجياته المادية التي لابد من تحقيقها.

ولذا نرحب كل الترحيب بالبادرة الطيبة التي قام باتخاذها المعهد الدولي للبحوث الاجتماعية، ونراها تندرج ضمن المجهود المشترك الرامي الى توعية الضمير العالمي ازاء المشاكل التي يتخبط فيها العالم في الوقت الحاضر. ولا يتنافى هذا الوعي الجماعي مع خصوصات كل مجموعة من الاسرة الانسانية فيصبح وعيا بالقيم الثقافية التي تختلف باختلاف طرق المعيشة.

ففي هذا النطاق بالذات يجب ان نقيم الصحوة الاسلامية التي يتردد الحديث عنها في يومنا هذا. وانت يا سيدي المدير، اجدر الناس بادراك هذه الحقيقة على وجهها. ذلك ان الفكرة الاساسية للتفكير الاجتماعي الاسلامي هي القائلة بان التنيمة والعمل والربح والثروة كل ذلك ينبغي اعتباره في مدلوله الاجتماعي وارجاعه الى اصوله الحضارية. ولا يصح النظر اليه بمعزل عن هذه المدلولات وذلك ما تشهد به ابحاث السيد البار تيفود جري. فهو في الصفحات الاولى من كتابه الذي عنوانه : «الكفاف ثروة الشعوب» يستشهد بالاسلام ويقول ان : الاسلام يمدنا بمراجع متنوعة في الغرض وهو في الفصل المعقود بعنوان «اذلال المال» او الذي بعنوان «اعادة اكتشاف الاقتصاد» يوجه النقد النافذ للتقليد ولنقل التكنولوجيا في ذاتها وعلى كل فان التقاء تفكير المؤلف بمعاني الاسـلام عديدة.

واملي ان تشكل هذه البادرة نواة لعمل مستمر يوصل الى تدعيم التعاون بين منظمة المؤتمر الاسلامي وبين منظمتكم ومثيلاتها.

وآمل ايضا ان تفضي اعمالكم الى توضيح الوسائل الكفيلة بمعالجة المشاكل العويصة التي يقاسي منها المجتمع المعاصر وذلك بفضل الفلسفة الاقتصادية الاجتماعية للاسلام.

تقديم الملتقى

مصطفى الفيلالي
المستشار المسؤول عن تنظيم الملتقى

1 ــ ليس غريبا ، ولا من باب الصدف ، ان تنعقد مثل هذه الندوة عن الفكر الاسلامي في مثل هذه الظروف التاريخية ، وفي هذه المؤسسة الدولية بالذات المتخصصة في الابحاث الاجتماعية . وبهذه العاصمة لبلد مسيحي ، فقد كبرت العناية في هذه العشرية السابعة وفي الاوساط المسيحية ، بالعقيدة الاسلامية كمرجع فكري يتكيف به السلوك ، وبالامة الاسلامية كقوة اقتصادية واجتماعية يزداد دورها اهمية في مصير المجتمع المعاصر .

ومن الطبيعي ان تختلف بين المجتمعات الغربية المعاصرة اسباب تلك العناية ، وهذا الكلف المفاجىء وان تتباين دواعي هذه الطفرة من الاهتمام ، وكذلك من الطبيعي ان تتفاوت في هذه الاوساط درجة التجرد عن الاغراض المسبقة ونصيب الاخلاص للحق فيما يطلب من معرفة عن الغير .

ولا سبيل الى نكران ما للامة الاسلامية في الشرائط المثقفة من اجيالها من انشغال بالصورة التي يشهدون رواجها بالمجتمعات الغربية بسبب الوسائل الاعلامية ، عن اصول دينهم ومظاهر حضارتهم الفكرية ، وعن تأويل تاريخهم ، وما كان لأعلامهم من دور في البناء الحضاري للبشرية ، وما ينبغي ان يكون لهم من دور في المجتمع المعاصر .

وهي في نظر المسلمين عامة ، عناية مفاجئة ، وليدة للازمة الكبرى التي يشهدها المجتمع المعاصر في جميع المقومات الاساسية للنمط الحضاري الشائع ، واذا نحن لم نكتف بالمظاهر الظرفية لهذه الازمة ، مثل قضية الطاقة وتزايد اثمان النفط منذ بضع سنين ، او قضية الحوار السياسي ــ الاقتصادي بين الشمال والجنوب ، فان لهذه الازمة جذورا عميقة اساسها الشك المتزايد في القيم الحضارية التي انبنت عليها حضارة المجتمع المعاصر ، والسعي الى طلب القيم البديلة ، التي قد تعين على فك القيود ، والى تعديل السير وتجديد الافاق ، في وجه المجتمع البشري . ومن السبل الممكن سلوكها في هذا السعي لطلب القيم البديلة ، استجلاء طاقات الفكر الاسلامي ، واستدرار ينابيع الثقافة الاسلامية عساها ان تعين على بعض الحلول للازمة الحضارية المستفحلة .

وفي هذا الغرض بالذات نشأت فكرة المشروع الذي يتبناه المعهد الدولي للدراسات الاجتماعية ، وتحمس لها مديره العام واستجاب لها عدد من الوزراء بالحكومات الاسلامية ثم شملها برعايتهم البعض من رؤساء الدول الاسلامية : ان يكون للفكر

الاسلامي دوره على قدر ما لمؤسساته من مشاركة ولرجالاته من عزم ، في ضبط المقومات الكبرى للازمة الحضارية بالمجتمع المعاصر ، وفي الاعانة على ايجاد الحلول الممكنة والمتيسرة لهذه الازمة .

والحقيقة الكبرى المستمدة من مقومات الثقافة الاسلامية ان عناية الاسلام بمشاكل الانسان في حال معاصرته ليست اليوم بالامر المستحدث ، ولا كانت بالامس في الحقبات المتوالية من تاريخ هذا الدين السماوي المنزل . بل ان وضع هذه الموازنة على هذه الصيغة من التمييز بين مشاكل الحياة المعاصرة في محتوياتها الاقتصادية والاجتماعية ، من جانب اول ، وبين قضايا اصولية تهم العبادة وصلة الانسان بخالقه ومصيره غدا من وراء الحياة الدنيا من جهة ثانية ، انما هي معادلة غريبة عن شمول الفكر الاسلامي في اصوله الاساسية ، وهي ناتجة عن التنظير بين الثقافة الاسلامية من جهة وبين الثقافة الغربية في اصولها الموسوية ـــ المسيحية من جهة ثانية . انما ذلك هو من باب اطلاق الطابع الثقافي العام للمجتمع المعاصر على ثقافة خاصة ، هي ثقافة الاسلام ، وهو من باب القياس ، القائم اساسا على رفض الذاتية المميزة وعلى انكار الغيرية المنفصلة .

وأولى خطوات العمل الفكري يحسن التذكير به في بداية هذا الملتقى هو ان الغنم المطلوب من الثقافة الاسلامية للاعانة على حل مشاكل العصر انما يكمن فيما للفكر الاسلامي من طابع مميز عن الثقافة السائدة في المجتمع المعاصر . وكذلك الشأن بالنسبة لكل ثقافة : لا تكون مثرية للفكر الانساني الا بقدر ما تتميز به من معالم الطرافة والغيرية ، وبقدر ما تنطوي عليه من كفاءة الانفصال عن ثقافة الاستلاب والاستيلاء ، التي شهدت ازمات المجتمع المعاصر انها مجحفة بانسانية الانسان ، سالكة به نهج الحيرة والفاقة والغبن ، عاجزة عن أن توفر له الطمأنينة وأن تسلك به مناهج الرقي الحضاري الاصيل .

الواقع الملموس في مجتمعنا المعاصر ان الحوار بين الثقافات المختلفة يكاد يكون معدوما او هو يجري في سبيل منسدة مغلقة . فقد طغت على الفكر الانساني منذ انبعاث النهضة الصناعية ، ثقافة تقنية ، مطبوعة بطابع الفكر الموسوي ـــ النصراني ، تقوم على اساس التسليم بثنائية المعرفة بين اصناف علمية صحيحة ، قابلة للتقدير الكمي ، ومتيسرة لسيطرة الرياضيات ويقينها المعدود ، وبين اصناف من علوم الانسان ، مستعصية عن التقدير الكمي ، ومفضية الى معرفة ظنية او ذات يقين من جنس حدسي .

وقد فازت العلوم الصحيحة بالمرتبة الاولى في الثقافة الانسانية ، وفي برامج التعليم والتدريس ، واصبحت العلوم الانسانية متهمة بانها علوم هامشية لا تؤدي الى نجاح الفرد

في حياته ، ولا الى رقي المجتمع في اسباب عيشه ولا الى قوة الامم في مراتب السياسة ومنازل الجاه والنفوذ .

بحكم هذه الثقافة التقنية الصحيحة وما فازت به من مكانة في العالم وما يسرته من الاسباب الفنية للسيطرة على المادة اصبحت الثقافة الاسلامية في نظر الغربيين وحتى في نظر العديد من المثقفين المسلمين انفسهم وعند رجالات الحكم في العديد من الدول الاسلامية ثقافة قاصرة ، بتراء محدودة . واصبح المجتمع الاسلامي الذي كان في معظمه خاضعا لسيطرة الاستعمار الغربي ، مدعوا الى الايمان بالثقافة الغربية الموحدة الواحدة ، والى التعلق بما تنبني عليه من علوم تقنية ، ان هو اراد الخروج من منزلته الوضيعة والفوز بمرتبة المجتمعات المتقدمة وباسباب الرقي الحضاري .

وهكذا شاعت في المجتمع المعاصر عقيدة تقوم على تصنيف التفاضل بين الثقافات ، بقدر ما بين كل واحدة منها وبين الثقافة الغربية المهيمنة من مسافة ونسبة ، واصبح للتفكير الانساني في جميع الاصناف الاجتماعية المعاصرة مرجع اساسي واحد ، ونمط ثقافي مشترك ، يشع من الولايات المتحدة الامركية على العالم باسره ، ويشع من البلاد الغربية على سائر بلاد الدنيا . واصبح تقليد هذا النمط الامركي هو السبيل الفكرية الفذة الضامنة للنجاح ، بل راح للتقليد سلسلة متصلة الحلقات ما بين النمط ـــ المرجع ، النابع من ثقافة الامركيين الشماليين ثم يؤثر بدوره في نمط البلاد الانقلوسكسونية باروبا الغربية ، ويشع منها على البلاد اللاطينية ، ثم تأتي بلاد العالم الثالث في الحلقة الموالية من سلسلة التقليد للنمط الثقافي المهيمن .

ومن ابرز النتائج المترتبة عن هذه التسوية الثقافية المعاصرة ان تفرقت العناية عند المفكرين المسلمين بين محورين متمايزين من الاهتمام : هما من جهة محور القضايا الحياتية ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية ، المتعلقة بحياة الفرد والمجتمع ، مما نفتقر في معالجتها الى العلوم العصرية الصحيحة ، ومحور القضايا الدينية والاخلاقية ، مما نعول فيه ، على علوم الدين ، مما به قوام الفلاح في الحياة الدنيا والفوز في الاخرة .

فكان لكل من هذين المحورين علماء مختصون ، وخبراء مهرة ، ومن ذلك اصبح للدين الاسلامي من الفقهاء في امور العقيدة ما يكاد لا يتميز عن الكنيسة وقساوستها في الدين النصراني ، وبقدر ما يمتاز به هؤلاء الفقهاء من سعة المعرفة بفقه العبادات بقدر ما يضعف اهتمامهم بمشاكل العصر وقضايا الحياة المادية ، ذلك ما لاحظته شخصيا من خلال بعض الاتصالات مع من ننعتهم بلفظ «رجال الدين» عند قيامي منذ عشرين شهرا بالدعوة لهذا المشروع . كما لاحظت من جانب آخر ان عددا من المفكرين المسلمين

المتميزين بكفاءاتهم في الاحاطة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية القائمة اليوم في بلاد العالم والمستفحلة في بلاد العالم الثالث ، لا يرون لهذه القضايا من صلة بالاسلام كعقيدة ولا كفكر او ثقافة ، ولا يعتبرون ان في عرض هذه القضايا على الفكر الاسلامي عونا يفيد في حلها او في تيسير الاحاطة ببعض جوانبها ، بل يرون في ذلك المقياس الديني زيادة في التعسير لقضايا لها من جانب معطياتها المادية الكفاية من الاشكال .

ذلك من آثار الازدواجية المهيمنة بطابعها على الثقافة المعاصرة . وان ذلك التبعيض وهذا الانقسام في مراكز الاهتمام الفكري بين «ما هو لله وما هو لقيصر» ، مظاهر بارزة لثنائية الثقافة العصرية الغالبة . ولا نحتاج الى التذكير بان الفكر الاسلامي فكر تأليفي وشمولي ، لا يقر الانفصال بين الانسان ، الحيواني ، الدنيوي «الذي يأكل الطعام ويمشي في الاسواق» وبين الانسان ، الروحاني الذي اختاره الله خليفة له في الارض . ولا يؤمن الاسلام بان للانسان اعمالا في الارض لا تهم السماء ولا أن له في قرارة نفسه حالات تعبدية لا تتصل بحياته الدنيا ، ولا تؤثر فيها .

هذه النظرة اللائتلافية لانسانية الانسان في جميع حالاته التعبدية وفي سائر مساعيه الحياتية هي الكفيلة بفتح باب الاجتهاد في عصرنا ، لاستجلاء موقف الفكر الاسلامي من امهات القضايا التي تشملها الازمة الحضارية القائمة اليوم ، بعد ان اتضح للمفكرين في العالم الغربي والشرقي على السواء ان الثقافة التقنية عاجزة بمفردها على طلب الحلول لهذه الازمة ، بل ان في استمرار هذه الثقافة بطابعها الحالي وبقاء المجتمع البشري على حاضر تمسكه بالنمط الحضاري المهيمن ، استفحالا للازمة وتعميقا لالغازها وتعسيرا لمقومات المشكلة .

من اجل ذلك كانت مبادرة المعهد الدولي للابحاث الاجتماعية مبادرة من جنس المغامرات الفكرية الصعبة ، وستكون الاجابة عن هذه المعادلة الشائكة من جانب المفكرين المسلمين وغير المسلمين اجابة عن احدى التحديات الفكرية الهامة في عصرنا . ذلك اننا جميعا ، ايا كانت عقيدتنا ، ومهما كان موقفنا الفكري من هذه العقيدة ، معنيون بما يؤول اليه المجتمع البشري المعاصر من ضعف الكفاءة الانسانية ، ومن استفحال التمزق الثقافي بجيلنا الحاضر وبالجيل الماثل من ابنائنا ...

وبديهي ان مثل هذا الملتقى المحدود في عدد المشاركين به وفي الايام القلائل التي ستشهد مداولاتنا لا يتسع لطرح جميع ما ينبغي اثارته من القضايا المتصلة بموقف الاسلام من النمط الحضاري المعاصر . وسوف لا يزيد املنا في هذا الملتقى على ان نتحسس جميعا لجوانب القضية الكبرى ، ونمهد للابحاث الطويلة الواجبة ، ونتدارس معا البرنامج الذي

يحسن ان نقيمه في صيغة مشروع على امد متوسط ولبعض سنوات ، تنصرف فيه نخبة من المفكرين الى تعميق الدرس وتدقيق الاحاطة ، حتى تكون الثمرة على قدر الرجاء ، ويرتفع الحوار الثقافي الى المستوى اللائق بجلال الموضوع .

سننصرف في هذه الايام الثلاثة القادمة الى ميدانين اثنين من ميادين الاهتمام :

1 ــ نقبل في معظم الجلسات الى تحليل ثلاثة اغراض فكرية كبرى : تتعلق اولا بالثقافة الاسلامية في اصولها الاساسية ، بما لها من طابع التأليف والشمول ، وما تقوم عليه من السعي الى المعرفة والحث على ضبطها وتدقيقها ، وما تدعو اليه من الاجتهاد المستمر لتجديد المفاهيم والتأليف بين الاصل الثابت والمظاهر المستحدثة مما يترتب عن تطور الحياة .

وتتعلق ثانيا بما يكون للثقافة الاسلامية من موقف تجاه اوضاع المجتمع المعاصر فيما له من هياكل تنظيمية ، وما للانسان فيه من حقوق وواجبات داخل هاته الهياكل ، وما بين الدولة والفرد من علاقة .

وتتعلق ثالثا بقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية وما تدعو اليه من تشاور وحوار بين مختلف القوى في المجتمع المعاصر وما يمكن ان نستمده من الفكر الاسلامي لاحكام السيطرة على هذه القضايا وللتقدم بها نحو الحلول السليمة المتماشية مع كرامة الانسان .

2 ــ ثم نخصص في المرحلة الثانية جانبا من الوقت للتشاور حول اقامة مشروع تعاون علمي على امد متوسط ولمدة ثلاث سنوات او خمس ، ينتظم فيه البحث العلمي حول جوانب العلاقة بين الثقافة الاسلامية والثقافة الغربية المهيمنة ، ومظاهر ما يتسنى من حوار لتصفية هاته العلاقة واثراء التعاون الفكري والحضاري لصالح المجتمع المعاصر .

ولعل قيام هذا المشروع العلمي في مستوى مؤسسة دولية كالمعهد الدولي للابحاث الاجتماعية هو الذي سيمكن من توسيع هذا التعاون بين المفكرين المسلمين ، ومؤسسات البحث في البلاد الاسلامية حتى يكون اكثر شمولا واصدق تمثيلا للعائلات الفكرية في الثقافة الاسلامية المعاصرة ، ذلك اني اجد الشعور عميقا بان الاسلام الاسيوي الذي يمثل اليوم خمسة اسداس الامة الاسلامية ، جدير بان يكون له في سائر ديار الاسلام وفي البلاد العربية منها على وجه التخصيص صوت ابلغ نفاذا ومساهمة اوسع شمولا واعمق اثرا مما له اليوم . وكذلك الشأن بالقياس الى الاسلام الافريقي الذي يستحق ان يحظى من اهتمام المثقفين المسلمين بعناية اوفر مما يلقاه اليوم . ثم هل نحن على علم جميعا وبالقدر